

OPEN ACCESS RUSHD (Bi-Annual Research Journal of Islamic Studies) Published by: Lahore Institute for Social Sciences, Lahore.	ISSN (Print): 2411-9482 ISSN (Online): 2414-3138 Jan-June-2024 Vol: 5, Issue: 1 Email: journalrushd@gmail.com OJS: https://rushdjournal.com/index
---	---

Dr. Hafiz Abdul Majid¹

Dr. Hafiz Quadratullah²

Dr. Muhammad Usman Khalid³

منهج الشنقيطي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

The Methodology of Al-Shanqiti in Interpreting the Quran
with the Sayings of the Sahaba and the Tabaeen

Abstract

The last Holy Book of Allah Ta'ala is the Holy Quran. This great and holy book has been revealed in Arabic language to the last prophet of Allah, Muhammad ﷺ. The purpose of revelation of the Holy Qur'an is to tell people the straight path of their Lord Allah and to guide them in all matters of their life.

This book was best understood by those who learned and understood it from Prophet Muhammad ﷺ and they are his

¹ - Ph.D, University of Engineering and Technology, Lahore.

² - Assistant Professor, Department of Islamic Studies, University of Engineering and Technology, Lahore.

³ - Postdoc Fellow IRI, International Islamic University Islamabad, Assistant Professor of Islamic Studies, Basic Sciences and Humanities Department, MNS UET Multan.
<https://orcid.org/0000-0001-6391-8474>,
muhammadusmankhalidryk@gmail.com

Companions. After them are those who learned and understood from them and they are the Taabi'een.

Therefore, the Tafsir described by them has been given the third rank by the Ummah after the Holy Qur'an and the Hadith. This is the third most authentic source of Tafsir e Qur'an.

Since ancient times, the commentators adopted this method in their interpretations (Tafaseer), none of the interpretations of Bilamathur (تفسیر بالمأثور) is free from it and this blessed series continues till now.

Among the commentators who interpreted the Holy Qur'an through the sayings of Companions and Taabi'een is the great mujtahid, jurist and muhaddith, the great religious Islamic scholar Sheikh Muhammad Al-Amin al-Shanqati. Which has an important, famous and authentic Tafsir is: "Azwa al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by Qur'an". In which, he has arranged to interpret the Holy Qur'an through the sayings of the Companions and Taabi'een, like other methods, and he adopted different and numerous methods for this excellent method.

Is this tafsir really such a tafsir that can be called a modern model of Tafsir al-Qur'an according to Tafsir by sayings of the Companions and Taabi'een? And is this method of interpretation acceptable to the commentators in the Tafsir: "Azwa al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by Qur'an" of Imam al-Shanqiti? And how much material has he provided to his believers and students in his interpretation by using other ancient interpretations based on his memory?

We will try to answer these and other similar questions in the following article. And at the same time, we will also briefly review the efforts of some other great commentators who interpret the Holy Quran according to this method, so that in the light of this we can clarify the position that this is the third best

method of interpreting the Holy Quran. is to be interpreted through sayings of the Companions and Taabi'een and we can also formulate a remedy for some of the misconceptions that have been spread about this method.

Keyword: Companions, Tafsir, commentators, interpretations, Holy Qur'an.

خلق الله الإنسان وأنزل الكتب والصحف لهديه في فترات مختلفة على رسله. وفي نهاية كلها أنزل الله القرآن الكريم لهدي الناس جميعاً على خاتم النبيين محمد ﷺ باللغة العربية المبينة. القرآن الكريم هو الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة المباركة. ولا يمكن للناس أن يهتدوا بكلام الله إلا إذا فهموا أحكامه وفق مراد الله تعالى وما بينه رسوله ﷺ بأقواله وأفعاله الذي أنزل عليه هذا الكتاب المبارك. ومن الضروري أن يكون علم الذي يساعدنا في فهم كلام الله. ونجد هذا العلم المبارك في تراثنا الإسلامي وهو علم التفسير الذي يوضح ويشرح آيات القرآن الكريم، ويبين معانيها، ويستخرج أحكامها وحكمها.

ولا بد للناس عموماً وللمفسرين خصوصاً أن يعتمدوا في فهمهم أولاً على كتاب الله لأن الله تعالى وحده هو الذي يعلم المعنى الحقيقي الكامل لكلامه أولاً وهو أعلم معنى كلامه ولا أحد أعلم بمعنى كلامه منه، وهو سبحانه أحياناً يفسر ويوضح معنى كلامه بكلامه، فأفضل وأقوى وأول أعظم أنواع تفسير القرآن هو 'تفسير القرآن بالقرآن'. وهو الأصل الأول في تفسير القرآن. وهذا النوع هو أشرف أنواع التفسير وأجلها.

ثم يجب عليهم أن يعتمدوا في فهمهم على سنة نبيه الكريم ﷺ لأنه لا يعرف معنى كلام الله بعده إلا الذي أنزل عليه كتابه. وهذا واجبه، وكذلك المقصد العظيم من الكتاب الذي نزل عليه.

كما قال الله عز وجل في بيان الغاية من نزول كتابه المجيد على نبيه الحبيب:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقد قام الرسول الكريم

ﷺ بهذا الواجب على أكمل وجه، وحيثما كان ذلك ضروريا، فقد بين معاني كلام الله تعالى ومفاهيمه، ولذلك المستوى الثاني في تفسير القرآن هو 'تفسير القرآن بالسنة النبوية'. وهذا هو الأصل الثاني في تفسير القرآن. فالله تعالى قال عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ والنبي ﷺ يبين كلام الله بسنته ويهدي بها إلى صراط مستقيم.

وعندما لا يجد أحد من المفسرين تفسير القرآن الكريم في القرآن الكريم ولا في أحاديث الرسول الكريم، ينتقل إلى أقوال الصحابة والتابعين وتفسيراتهم، واستنباطاتهم من القرآن وذلك لما ورد من الآيات المتكاثرة، والأحاديث المتواترة الناصة على كمالهم، والمورثة العلم القطعي بفضلهم وسبقهم وعدالتهم ولتفسير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى المنزلة السامية بين تفاسير السلف. وهذه هي المستويات الأساسية المختلفة للتفسير بالمأثور، والتي اهتمها المفسرون الذين اشتغلوا بالتفسير بالمأثور وكتبوا التفاسير في العصر القديم والحديث. ولا بد من الرجوع إلى أقوال الصحابة بعد القرآن الكريم والحديث النبوي لأنهم قد التقوا بنطاق الوحي وشاهدوا جميع مراحل الوحي. وقد نالوا هذا العلم العظيم القيم عن الرسول الكريم ﷺ ورزقهم الله تعالى الفهم الكامل والعلم الصحيح ووقفهم للعمل الصالح وجعلهم قدوة للأمة كلها. وخاصة علمائهم المجتهدون كالأئمة الأربعة المهديين، الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم. "وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون العشر الآيات حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن. وروى الإمام الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي الذي هو من كبار التابعين، أنه قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئونا أنهم كانوا يَسْتَفْرِثُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فكانوا إذا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُحَلِّفُوا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا.

وقد تعلم الصحابة من النبي الكريم ﷺ التفسير مع التلاوة، وكان النبي ﷺ يوضح معاني

كلمات القرآن الكريم كما يبين لهم ألفاظه. وهذا هو أعلى درجات البيان. والبلاغ المبين يتضمن بلاغ الألفاظ ومعانيها وهذا هو المراد بقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة".

ومع هذا يأتي مستوى تفسير التابعين أعني إذا لم يجد المفسر تفسير القرآن الحكيم في القرآن الكريم ولا في أحاديث الرسول الكريم ﷺ ولا في أقوال الصحابة يرجع إلى أقوال التابعين كما فعل كثير من الأئمة المفسرين في ذلك.

واهتم المفسرون بأخذ التفسير وبيانه عن كبار علماء التابعين وفقهائهم والذين استفادوا كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم كمجاهد بن جبر رحمه الله تعالى الذي هو آية في تفسير القرآن وعرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنه ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته وأوقفه عند كل آية منه وسأله عنها. كما بيّنه بنفسه. وكقتادة وسعيد بن جبّير وسعيد بن المسيّب وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وغيرهم من التابعين.

ومن المفسرين الذين فسروا القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين المجتهد والفقهاء والمحدث الكبير العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى الذي اشتهر بموسوعيته في تفسير القرآن الكريم وهو تفسير مهم ومشهور ومستند وهو: "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن". وقد اختار الشيخ رحمه الله تعالى في تفسيره أسلوب تفسير القرآن الكريم من خلال أقوال الصحابة والتابعين كغيره من الأساليب المعتمدة الممتازة، واتخذ لهذا الأسلوب الممتاز أساليب مختلفة ومتعددة.

موقف أهل العلم في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

اتفق المفسرون من أهل العلم على أنه إذا لم نجد التفسير في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ فإننا نرجع إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم. وتفسير الصحابة رضي الله عنهم هو في مرتبة

أعلى بين تفاسير السلف.

ولما كان رسول الله ﷺ قد علم أصحابه رضي الله عنهم وزكاهم وأدبهم، والصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالقرآن بعد النبي الكريم ﷺ. ويُعدّ تفسيرهم للقرآن الكريم المصدر الثالث. وهناك عدة أسباب لتقديم الصحابة رضي الله عنهم في التفسير. منها:

- صحبة الرسول الكريم ﷺ وهذا هو أعظم سبب الذي خصهم الله به ولم ينعم به أحدا غيرهم.
- كثرة اجتماعهم بالنبي ﷺ وأخذهم عنه وحضورهم لمجالسه.
- أتقنوا في زمنه المبارك العلوم المتعلقة بالتفسير كالتفاسير كالتفاسير كالقراءات والنسخ ومواضع النزول وأسبابه وغيرها.
- فصاحة لسانهم العربي ونزول القرآن بلغتهم وفضيلتهم للفهم الحسن لمعاني القرآن.
- العلم الصحيح والعمل الصالح.
- المشاهدة من الأحوال والقرائن.
- وغيرها من الأوجه الجليلة.

وإننا مأمورون بالافتداء بهم كما قال الله تعالى:

"﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾"

فإن أفضل قسم وطبقة من الأمة هم أصحاب النبي ﷺ الذين فهموا أولا معنى كلام الله وكلام رسوله الكريم ﷺ. وتفسيرهم عند بعض أهل العلم في حكم المرفوع. كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: لا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع. وذكر الإمام الحاكم في مستدرکه أن تفسير الصحابي في حكم الحديث المسند. كما قال: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي

الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند. ومعناه أن تفسير الصحابي له منزلة المرفوع في حكمه والاستدلال والاحتجاج به، ولا يعني أنه إذا قال الصحابي شيئاً عن الآية فنقول: هذا القول هو قول رسول الله ﷺ. وهو يكون في حكم المرفوع أيضاً بمعنى أن رسول الله ﷺ فسر لأصحابه القرآن وبيّن لهم معانيه. كما وصف الله تعالى نبيه بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيبين الرسول الكريم ﷺ لأصحابه القرآن بيانا كافيا شافيا، وكان إذا أشكل عليهم سأله عنه فأوضحه لهم، وعندما نقلوا لنا تفسير القرآن عن النبي ﷺ فتارة ينقلونه عنه بلفظه، وتارة بمعناه، وما فسروا بألفاظهم فهو يكون من باب الرواية بالمعنى، كما يروون السنة عنه تارة بلفظها، وتارة بمعناها، وهذا أحسن الوجهين، والله أعلم. ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى. ولقد تحدث ابن حجر رحمه الله تعالى بحزم وقال: والحق أن ضابط ما يفسره الصحابي رضي الله عنه إن كان مما لا مجال للاجتهاد فيه ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع وإلا فلا".

واتفق المفسرون من أهل العلم على أنه إذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فيجب على المفسر أن يرجع إلى أقوال التابعين رحمهم الله تعالى. كما اهتم به كثير من الأئمة المفسرين في تفاسيرهم. ولتفسير التابعين رحمهم الله تعالى المنزلة الرفيعة بين تفاسير السلف. ويُعدّ تفسيرهم للقرآن الكريم المصدر الرابع بعد تفسير الصحابة رضي الله عنهم لأن التابعين تلقوا التفسير عن أصحاب رسول الله ﷺ (رضي الله عنهم) مباشرة، واتفقوا على أصول أهل السنة والجماعة التي أرساها الصحابة وبعثوا عن البدع والأهواء حتى عن فساد ألسنتهم بالعجمة وكانوا في وقت الاحتجاج اللغوي، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، وهم متصفون باتتلاف أقوالهم، وقلة الاختلاف في التفسير بالنسبة لمن جاء بعدهم. كل هذا جعل يرجع من جاء بعدهم إلى أقوالهم في التفسير ويعتمدها. كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ومصادرهم في التفسير هي مصادر الصحابة نفسها، إلا أنهم يزيدون بمصدر الصحابة أو التابعين.

ومما تقدم يعرف أن حكم تفسير الصحابة للقرآن حكم المرفوع فيما لا مجال للرأي فيه ولا يجوز رده اتفاقاً وإذا لم يسندوه للنبي ﷺ فيكون موقوفاً. وتفسير التابعين حجة عند الاتفاق ولا يكون حجة في الاختلاف. والله تعالى أعلم.

موقف الشنقيطي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

اعتمد الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى هذا الأسلوب الجميل في تفسير الآية القرآنية أن فسر الآية أولاً بالآية أو الآيات القرآنية. وفي حالة عدم حصوله على تفسير من القرآن، قام بتفسير الآية القرآنية من خلال الأحاديث. وبعد ذلك اعتمد الشيخ هذا الأسلوب الفريد أي تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى. وهذا هو منهجه القيم المنفرد الذي اختاره الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره وسار على خطى المفسرين المتقدمين مثل القرطبي و الطبري وابن كثير وغيرهم رحمهم الله تعالى جميعاً وجزاهم عن المسلمين. ويبين ما فيها من الأحكام، وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء من الصحابة والتابعين في ذلك، ويرجح ما ظهر له أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين، لأنه قال: "إنا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلامه أي كلام النبي ﷺ، ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيراً".

منهج الشنقيطي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

وجميع المفسرين الذين يهتمون بالتفسير بالماثور يرتبون ذلك في تفسيرهم، فيفسرون التفسير من خلال أقوال الصحابة والتابعين بعد القرآن والحديث النبوي. ويمكن أن نقول أيضاً إذا لم يجد المفسر بيانا من القرآن والسنة أو يجد فيها بيانا لكنه يظن أنه غير كاف فيرجع إلى ما جاء عن الصحابة والتابعين. وقد اهتم الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى أيضاً بهذا الأمر كثيراً في تفسيره

مثل المفسرين المتقدمين. ولذلك يمكن أن نعتبر تفسيره نموذجاً لتفسير السلف في هذا الصدد. لكن خصوصية تفسيره هو أنه يفسر بطريقة فريدة تماماً، واختار في تفسيره عدة أساليب في هذا الاتجاه، سنصف بعضاً منها أدناه.

تفسير الكلمة القرآنية:

إن المهمة الأولى للمفسر هي معرفة معنى الكلمة القرآنية التي يستخدمها أهل اللغة لأنهم يعرفون استخدام الكلمة ومعانيها ويعرفون أيضاً أين تستخدم الكلمة ومتى تستخدم وبأي معنى تستخدم. أحياناً يجد المفسر معنى الكلمة القرآنية في مكان آخر في القرآن الكريم وأحياناً يجده في الأحاديث النبوية. فإن لم يجد فيهما فيرجع إلى أقوال الصحابة والتابعين. وهذا منهج ممتاز فريد، وهذا المنهج اعتمده الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى أيضاً، وكان اهتمام المفسرين به في الماضي القريب أقل كثيراً. وقد اهتم الشيخ في تفسير الكلمة القرآنية بأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بالمناهج التالية في تفسيره:

تفسير الكلمة القرآنية بالقول الواحد:

يذكر المفسرون في تفاسيرهم لتفسير الكلمة القرآنية قولاً واحداً الذي يوضح معنى و مراد كلمة الله تعالى ولا يشعرون بالحاجة إلى ذكر المزيد من الأقوال. فالشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى اختار هذا الأسلوب الجميل في تفسيره أيضاً بأن ذكر أحياناً قولاً واحداً فقط في تفسير الآية لتوضيح معنى الكلمة القرآنية من أقوال الصحابة والتابعين ولم يذكر أقوالاً أخرى. كما ذكر في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ قول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فقط لبيان معنى كلمة "الوسيلة" وهي الحاجة.

تفسير الكلمة القرآنية بالقول المتفق عليه:

ومن أسلوب كبار المفسرين أيضاً أن يذكروا قولاً في تفسير الكلمة يتفق عليه جميع الصحابة والتابعين أو معظمهم أو يبينون نفس الشيء بطرق وألفاظ مختلفة. فبدلاً من ذكر الأقوال كلها

على حدة، ذكر المفسرون قولاً واحداً إجماعاً. فمدد وحنا الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى ذكر أحياناً قولاً واحداً بنسبة القول أو بنسبة القائلين المتفقين على نفس تفسير الكلمة القرآنية من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين. كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معنى كلمة "السَّيِّئَةِ" وهو الشرك وبه قال ابن عباس و ابن مسعود وأبو هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهم، وعطاء وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزید بن أسلم والزهری والسدي والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد رحمهم الله تعالى من الصحابة والتابعين". فاختار الشيخ فيه أسلوب الإمام ابن كثير. وما أجمل هذا الأسلوب! وطالب العلم يدرك مواقف عدة من الصحابة والتابعين في وقت واحد. ويستغنيه هذا الأسلوب عن العديد من الكتب خاصة عندما لا تتوفر لديه كل هذه الكتب.

تفسير الكلمة القرآنية بالأقوال المتباينة:

في بعض الأحيان يكون للكلمة أكثر من معنى في لغة العرب لكن بالتأكيد هناك حكمة في كل معنى مما تنفع المسلمين عامة وعلمائهم خاصة ويوسع مجال عملهم. ولذا ذكر المفسرون في تفاسيرهم أقوالاً عديدة لتفسير الكلمة القرآنية التي تشتمل على معانٍ عديدة. واهتم الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى بهذا الأسلوب وذكر في بعض الأحيان أقوالاً عديدة متباينة. كما ذكر في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أقوالاً مختلفة للصحابة والتابعين رضي الله عنهم لتوضيح معنى كلمة "الْمُتَوَسِّمِينَ"، ويبيّن الشيخ أن للعلماء في تفسير هذه الكلمة أقوالاً عديدة متقاربة ويعود كل معانيها إلى شيء واحد. فمعنى كلمة "الْمُتَوَسِّمِينَ" مروى عن ابن عباس والضحاك: الناظرين، وعن قتادة: المعتبرين، وعن مجاهد: المتفرسين، وعن مالك عن بعض أهل المدينة: المتأملين. هذا أسلوب إمام المفسرين الإمام الطبري في تفسيره الذي اختاره شيخنا الشنقيطي. رحمهم الله تعالى أجمعين.

تفسير الآية القرآنية:

ومن أسلوب المفسرين الممتاز أنهم يذكرون أقوال الصحابة والتابعين في تفسير آية القرآن الكريم في حالة عدم العثور على تفسير من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف لأنه من المتفق عليه أنه بعد الله ورسوله، بقدر ما يستطيع هؤلاء فهم القرآن، فلا أحد يستطيع أن يفهمه غيرهم. ولذا أولى المفسرون أهمية أكبر لأقوالهم، وهو مناسب أيضاً لأن هؤلاء العظماء تنعموا واستفادوا مباشرة أو بواسطة واحدة من منبع النبوة. وقد اهتم الأئمة المفسرون في تفاسيرهم بتفسير الآية القرآنية من الكتاب والسنة أولاً. ثم بعد ذلك، في بعض المواضع، ذكروا قولاً للصحابة أو التابعين، أو ذكروا مجموعة من الأقوال المتتابعة أو المختلفة، فإذا وجدوا اختلافاً في الأقوال رجحوا الصحيح أو الأصح على أساس الحجة القوية. "ثم بعد ذلك يذكر في بعض المواضع القول الواحد من الصحابة أو التابعين أو يذكر أقوال مجموعة متتابعة أو مختلفة وعندما يوجد الاختلاف الواسع في الأقوال فيرجح. وهذا هو منهج الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره". وله عدة أساليب منها:

تفسير الآية ابتداءً:

من حسن أسلوب المفسرين أيضاً أن يذكروا أقوال الصحابة والتابعين في بداية تفسير الآية ثم بعد ذلك يذكروا بقية المباحث والدلائل.

فاختار شيخنا الشنقيطي رحمه الله تعالى هذا الأسلوب الحسن في تفسيره بأن ذكر أقوال الصحابة أو التابعين في البداية. وذكر بقية الدلائل والحجج فيما بعد. وأحياناً كان يكتفي الشيخ رحمه الله تعالى أن يذكر أقوال السلف فقط في تفسير الآية ولم يجد ضرورة لذكر أشياء أخرى. كما اختار هذا الأسلوب في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فذكر أقوال التابعين فقط ابتداءً مثل إمامي المفسرين الطبري والقرطبي رحمهما الله تعالى:

فقال قتادة رحمه الله في تفسير هذه الآية: "خَوْفًا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم

یرجو برکتہ ومنفعتہ ویطمع فی رزق اللہ .

وقال الحسن البصري رحمه الله: الخوف لأهل البحر والطمع لأهل البر .

وقال الضحاك رحمه الله: الخوف من الصواعق والطمع في الغيث " .

تفسير الآية تبعاً:

یوجد هذا الأسلوب في أمهات كتب التفسير بأن يذكر المفسر أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين في تفسير الآية الكريمة فما ترك الشيخ رحمه الله تعالى هذا الأسلوب المنفرد في تفسيره وذكر تفسيراً للآية ما جاء في القرآن أو في الحديث النبوي الشريف ثم بعد ذلك يذكر أقوال الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم أجمعين وفي بعض الأحيان اكتفى بذكر قول واحد فقط . كما ذكر الشيخ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ آيات عديدة من القرآن الكريم ثم بعد ذلك اكتفى بذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما فقط بأن ذكر: وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ قال: أي نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال . كما اختار هذا الأسلوب الفريد إمام المفسرين الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره " .

تفسير الآية بأقوال مختلفة:

نجد في كتب التفسير الأساسية والأصلية أن يذكر المفسر في تفسيره أقوالاً عديدة ومختلفة للصحابة والتابعين رضي الله عنهم في تفسير الآية المباركة . وقد اهتم الشيخ رحمه الله تعالى أيضاً بهذا الأسلوب اهتماماً كاملاً وذكر أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، التي وردت في تفسير الآية، على اختلاف الأقوال وتباينها . والغالب أنه يذكر جميع الأقوال أو أكثرها ويرجح قولاً راجحاً عنده بالدليل من الأقوال المختلفة المذكورة . فهذا معلوم أن تفسير أضواء البيان نموذج ممتاز لتفاسير السلف رحمهم الله تعالى . فالشيخ رحمه الله تعالى ذكر في قول الله تعالى: ﴿مَنْ

عَمَلٌ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ تفاسير عديدة في ضوء أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين. ووضح أنهم فسروا قول الله تعالى: "حَيَاةً طَيِّبَةً":

فقد فسرها ابن عباس وجماعة رضي الله عنهم: بالرزق الحلال الطيب.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: بالقناعة.

وابن عباس (على قول واحد) وعكرمة ووهب بن منبه والضحاك: بالعبادة في الدنيا.

والضحاك رحمه الله (على قول واحد): بالعمل بالطاعة والانشراح بها.

ثم بين الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى موقفه وقال: والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله.

نجد هذا النموذج في تفسير القرآن الكريم لإمام المفسرين ابن كثير رحمه الله تعالى وذكر في تفسير هذه الآية الكريمة: والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت.

هذا الأسلوب المنفرد يدل على سعة علم الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى وذكائه وهذا الأسلوب مثير للإعجاب من بين كل الأساليب التي اختارها الشيخ رحمه الله تعالى في هذا القسم.

تفسير الإجمال:

أحيانا يجد المفسر إجمالاً في الآية الكريمة التي يفسرها ولا يجد تفصيلاً لهذا الإجمال في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية بل يجد التفصيل لهذا الإجمال في أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فيذكر المفسر أقوالهم في تفسير الآية لتفصيل هذا الإجمال. اختار الشيخ رحمه الله تعالى هذا الأسلوب أيضاً في تفسيره وذكر في تفسيره أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ضمن الآيات المفسرة التي يجد فيها الإجمال ثم يرفعه بأدلة ويبين الترجيح. كما ورد في تفسيره ضمن قول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجَ مَلَّةً أَبَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴿﴾ ففي هذه الآية الكريمة وقع عند الشيخ إجمال بسبب الاحتمال وذلك في الضمير "هُوَ" من قوله تعالى: "هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ" فذكر الشيخ في تفسير هذه الآية الإجمال الواقع في الضمير "هو". وهو على من يعود هذا الضمير؟!

ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين فيه فقال:

فعند البعض: الضمير "هُوَ" يعود على الله تعالى. أي: الله الذي سماكم المسلمين من قبل وفي هذا. وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة رضي الله عنهم.

وعند البعض الآخرين: الضمير "هُوَ" يعود على إبراهيم عليه السلام. أي: إبراهيم الذي سماكم المسلمين من قبل وفي هذا. وهذا القول مروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. كما نقل عنهم ابن كثير وابن جرير رحمهما الله تعالى.

وبعد ذلك ذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى دلائل الفريقين ورجح قول الفريق الأول وذكر على ذلك أدلة عديدة. حيث بيّن أن في هذه الآيات قرينتان تدلان على أن قول الفريق الأول صواب.

القرينة الأولى: أن الله قال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ أي: في هذا القرآن، ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يسمهم المسلمين في القرآن، لأن القرآن نزل بعد وفاته بأزمان طويلة كما نبه على هذا ابن جرير.

والقرينة الثانية: أن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله، لا إلى إبراهيم، فقوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ أي: الله. ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: الله، ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أي: الله.

خلاصة البحث:

خلاصة ما سبق هو أن تفسير الصحابة والتابعين له مكانة مهمة في أساليب التفسير. وهو ما التزم به المفسرون في تفاسيرهم. فمثل تفسير السلف، جعل له الشيخ الشنقيطي ترتيباً خاصاً في تفسيره. ولهذا اختار الشيخ أساليب مختلفة، ذكرنا بعضها في هذا المقال. إلا أن الشيخ اعتمد أسلوباً فريداً في هذا المجال، نادراً ما نجده في التفسيرات المعاصرة. وهذا يوضح أن تفسير أضواء البيان، هو نموذج ممتاز لتفسير أقوال الصحابة والتابعين مثل تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالأحاديث النبوية. وهذا الأسلوب في التفسير مقبول عند المفسرين من السلف والخلف.